

مداخلة البروفسور سليم دكاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت، في لقاء حول "الحقّ في الاستعلام وواجب الاستعلام"، في مدرسة راهبات القلبين الأقدسين - الحدث، يوم الاثنين الواقع فيه ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠١٧.

الحقّ في الاستعلام وواجب الاستعلام في عشر نقاط فقط.

يسوع يبارك الأطفال

(مرقس ١٠: ١٣-١٦، لوقا ١٨: ١٥-١٧)

وجاءَهُ بَعْضُ النَّاسِ بِأَطْفَالٍ لِيَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَيُصَلِّيَ، فانتَهَرَهُمُ التَّلَامِيذُ. فَقَالَ يَسُوعُ: "دَعُوا الْأَطْفَالَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلَا تَمْنَعُوهُمْ، لِأَنَّ لَأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ". وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَمَضَى مِنْ هُنَاكَ".

أولاً: مشهد معروف وشهير من إنجيل متى ١٩/١٣-١٥

ماذا أريد من هذه المداخلة حول حقّ التلميذ في الاستعلام وحول حقّه في أن يُعلّم من حوله عمّا يريد أن يقوله؟

← وضع اليد ومباركة الأطفال كانت أمور معروفة - الأهل والكهنة والمعلّمين

← يسوع كان المعلّم في منظور الناس ومن الطبيعي أن يأتوا إليه بالأطفال لوضع اليد والمباركة والصلاة عليهم

← خصوصاً أنّ يسوع كان معروفاً أنّه كان معلّماً يصلّي، يدخل في علاقة عاموديّة مع أبيه السماوي

← كان يسوع يعلمّ الكبار لكن عندما أتوا بالأطفال إليه توقّف عن التعليم للاهتمام بالأطفال

← التلاميذ يقفون حاجزاً بين يسوع والأطفال

← موقف يسوع موقف القائد التربوي

(١) افتحوا الطريق للأطفال فلهم الأولويّة لأهمّ المستقبل / المستقبل البشري

(٢) علاقة مباشرة وليس فيها وسيط بين المعلّم يسوع والأطفال ← دعوهم يأتون إليّ

(٣) لا تمنعوهم ← لا تحرموهم من إنشاء علاقة مباشرة بيني وبينهم

٤) لهم ملكوت السموات : في تصوّرنا أنّ الأطفال (والناس) يسيرون نحو ملكوت السموات، في حين أنّ كلام يسوع يشير إلى ملكوت السموات (المغفرة، المصالحة، الحبّ والمحبة، القيم الإنجيليّة كلّها) ويعطي للأطفال السلام - الصداقة - الثقة والانفتاح على العالم - على القيم

٥) الطفل كما البالغ له الحقّ في أن يعرف وأن يطلب المعلومات من أهله ومدرسته، وخصوصًا من معلّمه ومعلّمته، يسوع يقول لنا : لا تمنعوه من أن يعرفوا ما هو ضروري لحياتهم، لمستقبلهم. من يتمتّع بالعلم والمعلومة هو الذي يستطيع أن يبني مشروع حياته الفرديّة والمواطنيّة على أساسٍ صلب.

ثانيًا : من مشهد الإنجيل، نفهم أنّ التربية الحقّ تكون فاعلة عندما نعطي للولد والطفل الدور والمركز الذي يستحقّه، فهذا الطفل لم يعد في الهامش أو مغيبًا إنّما هو في مكان مركزيّ إذ إنّ مثل هؤلاء أي مثل هؤلاء الأطفال ملكوت السموات. لا أعتقد أنّ يسوع ينظر إلى فضائل الأطفال أو إلى بساطتهم وحاجتهم إلى الآخرين، ويعطي لذلك مثالاً، بل يرى في الطفل أنّه مشروع المستقبل، نستطيع أن نبني فيه ومعه، يؤمن أنّ الطفل سيصبح رجل أو امرأة المستقبل، واستنادًا إلى قدراته العقليّة والعاطفيّة والروحيّة، فردًا عنده الكثير من القيم والمبادئ الفكرية والروحيّة والعاطفيّة والمواقف الإنسانيّة المختلفة. هذا الفرد مدعو إلى أن يُصبح المواطن المنفتح على الآخر، المؤمن بوطنه، القادر على العيش مع الآخرين بسلام ومحبة.

ثالثًا : عندما نتحدّث، من الناحية التربويّة، عن حقّي في الاستعلام كطفل وولد وواجبي أن أستعلم، عن ماذا نتحدّث في الواقع وبالفعل؟

نقول إنّ ما أكّد عليه الإنجيل في اعتبار الطفل فردًا مميّزًا، يُترجم في الاتّفاقات والشرعات الدوليّة وخصوصًا في شرعة ١٩٨٩ المتمثلة بالاتّفاق الدولي حول حقوق الطفل. هذه الشرعة وغيرها تجعل من الطفل شخصًا كامل الأوصاف، له شخصيّة المميّزة وله أيضًا كرامته التي لا بدّ أن تكون محترمة. بحسب هذه الاتّفاقيّة الدوليّة، يتمتّع الولد بحقوق متعدّدة، إذ إنّهُ يستطيع ممارسة حريّات التعبير، والانضواء إلى جمعيّات، والاجتماع مع آخرين، والتفكير، والضمير، والدين وكذلك يستطيع أن يطالب باحترام حياته الخاصّة.

نقرأ في المادة ٤٢ من الاتفاقية الدولية : "إنّ الدول الموقعة لهذه الاتفاقية تتعهد بأن تعرّف بمبادئ وأحكام هذه الاتفاقية، بواسطة وسائل فاعلة ومناسبة للكبار وللصغار على حدّ سواء".

هناك إجماع على صعيد الدول التي وافقت على هذه الاتفاقية ومنها لبنان، أن تقوم المعلمة أو يقوم المعلم في المدرسة، وخصوصاً في المدرسة الابتدائية، بواجبها بتعريف الأطفال والأولاد على حقوقهم وواجباتهم لأنّ من واجب المدرسة ومن واجب دور المدرسة الوطني، أكانت خاصة أم رسمية، أن تعرّف عن هذه الحقوق وهذه الواجبات وعن البعد العالمي لهذه الحقوق والواجبات.

رابعاً : في بعض الدول، هناك توجيه أُعطي للمدرسة الحضائية وللمدرسة الابتدائية، في ضوء حرية التعبير المعطاة للطفل والولد، بأن تكون المكان الذي فيه تتعزّز هذه الحرية. ماذا تعني حرية التعبير في هذا المجال التي تتحدّث عنها المادة ١٢ من الاتفاقية؟ هذه المادة تعطي الحقّ للأطفال والأولاد أن يصبّحوا أشخاصاً فاعلين لا يتكلّمون من أجل أن يتكلّموا بل إنّما يعبرون عن رأيهم في الأمور التي تخصّهم وأن يعبروا بحرية ويتعلّموا كيف يتعاملون مع حريّتهم، وأن يشاركوا في القرارات التي تخصّهم بالنظر إلى مستوى أعمارهم. هذه النظرة تتوافق أو هي مستمدّة من النظريات التربوية المعروفة بنظريات التربية التعاونية ( Robin, Freinet, ) التي تدعو الأطفال والأولاد إلى الإدلاء برأيهم في كلّ ما يتعلّق بالحياة المدرسية والجامعية وكذلك كلّ ما يتعلّق بطرق تعلّمهم. على كلّ، المادة ١٢ من الاتفاقية تدعو الطالب إلى المشاركة أكثر في كلّ القرارات التي تتعلّق بمسيرته التعليمية.

خامساً : الحقّ للطفل والولد أن يستعلم Le Droit de s'informer وهذا يعني أن له الحقّ أن يستعلم عن حقوقه وواجباته كما له الحقّ في أن يعبر عن رأيه وأن يكون له دور في الحياة الجماعية.

لكن هذا الحقّ في الاستعلام هو حقّ لا يتوجّه إلى شخص غريب أو من وسائل الإعلام، بل من إنسان بالغ أو راشد قريب منه. هنا نستطيع أن نتحدّث عن ثلاثة مصادر لتفعيل هذا الحقّ : الأوّل الأهل الذين يتوجّب عليهم إعلام الطفل عن حقوقه وواجباته، وعن المرغوب والممنوع، الثاني هو المعلم أو المعلمة التي في كلّ يوم عليها إعلام الطفل والولد عن حقوقه في مجال الحياة الصفية وكذلك عن واجباته وعن الممنوع

والمربوب، والمصدر الثالث هو المدرسة كمؤسسة عليها أيضاً إعلام الطفل والولد عن نظام المدرسة الداخلي في الصفّ وفي الملعب وفي الباصّ المدرسي وكذلك عن نظام الدروس والسلوك تجاه المدرسة والرفاق والأستاذ إلخ...

هذا الحقّ للطفل والولد واليافع بما يخصّ حقوقه وواجباته لا يترجم في لائحة بعضها هو مقبول ووبعضها ما هو مرفوض أو لائحة بالحقوق والواجبات بل يتمّ عرضه والحديث عنه ضمن منظومة قيم ومبادئ وأسس جوهرية تكون مثل الروح في الجسم ومثل الطاقة لمسيرة التلميذ في أي عمر كان وإلاّ تحوّل الحديث عن هذا الحقّ وهذا الاستعلام عن الحقوق والواجبات إلى مجرد لائحة شكلية لا تدخل في عمق الضمير والوجدان إذ أنّ مهمّة المدرسة والمعلّم، أكثر من البيت، أن يجعل التلميذ يفكر في قيمة الحقوق والواجبات وأهميتها على مستوى الحياة ككلّ وأنّ القيم هي في أساس السلوك وإلاّ أصبح النظام شيئاً شكلياً وضاعطاً على الولد.

**سادساً :** واجب الطالب بأن يستعلم (Le devoir de s'informer). عندما نقول إلى التلميذ إنّ عليه واجب أن يطلب بالمعلومات الواضحة الصريحة والأكيدة، نقول في الوقت نفسه إنّ لديه الحقّ في أن يتكلّم، لا أن يثرثر (وربّما بعض التلاميذ يثرثرون لأنّنا لا نعطيهم الحقّ في الكلام وفي طلب المعلومات) ولا نشجّعهم على الكلام، وبالتالي فإنّ واجب الكلام (خصوصاً للتلامذة الخجولين) يحوّلهم إلى أشخاص فاعلين يعزّون بحريّة عن أفكارهم، ويتدرّبون على التعبير عن رغباتهم، وعن خوفهم أحياناً، وعن مصالحهم... وعندما يطلب التلميذ الكلام إنّما يشعر بأنّه موجود، أنا أتكلّم، أنا أفكر إذاً أنا موجود... عندما يأخذ التلميذ الكلام للتعبير إنّما يدخل في حالة تواصل مع الآخرين، فيصبح هؤلاء كائنات إجتماعية، فيشعر بأنّه جزء من الجماعة وأنّ عنده سلطة على حياة الجماعة وعلى التأثير فيها من خلال مشاركته الفاعلة فيها، (مثلاً المندوبون في الصفوف، قرار لعبة معينة، رحلة، عمل دراسي...)

واجب التلميذ أن يحصل على معلومة يعني ألا يكون جاهلاً لما يجري حوله وفي صفّه. واجب التلميذ كما حقّه في أن تكون له المعلومة الصالحة يعني ألا يكون معيّباً. دور المعلّم والمعلّمة والأستاذ هو أن يتحقّق بأنّ

المعلومة وصلت إلى التلميذ وإذا شارك في تفكير جماعي لا بد أن تكون عنده المعلومات الضرورية التي تتيح له المشاركة.

**سابعاً :** عندما يحصل التلميذ على المعلومات وعندما يتمّ التحقق من أنه حصل عليها، معنى ذلك أنه أصبح شخصاً فاعلاً تقع عليه لا فقط واجبات بل أيضاً مسؤوليات. عندما يعرف التلميذ أنّ عنده أمثلة أو تمارين عليه ان يحضّرها في البيت، فذلك يعني أنّ لديه المسؤولية تجاه ذلك ولا شك أنّ على المعلم والمعلمة والأستاذ أن ينبهوا التلميذ إلى هذه المسؤولية وأن يترّبّي التلميذ على المسؤولية في عمر ما بين السابعة والعاشر على وجه الخصوص لأنّ الولد يصبح أكثر فأكثر واعياً لواجباته في هذا العمر. الولد يصبح مع الوقت مسؤولاً عن كلمته وعن أفعاله ليس بالنسبة إلى النظام المدرسي فحسب بل كذلك بالنسبة إلى القانون العام، حيث أنّ هناك محكمة للأحداث وسجناً للأحداث، كما نعرف، يعاقب فيه الولد الذي يتجاوز بعض الممنوعات مثل الأذى الجسدي على الآخرين الخ... نقول هنا إنّ الولد واليافع وحتى الطفل، من خلال سلوكياته ومن خلال حرّيته في التعبير والتفكير والمشاركة، إنّما يصبح مواطناً من المواطنين... هنا نطرح بعض الأسئلة : كيف نوفّق بين حسّ المسؤولية المواطنتية والفردية ومسؤولية الطفل والولد وحتى اليافع على مستوى المدرسة؟ ما هي الوسائل التي نستخدمها في توعية الطفل والولد اليافع على مسؤولياته كفرد ومواطن غير القصاص وربما المسطرة وبعض العقوبات الأخرى الرادعة ؟ إنّ التربية على المواطنة لا تقوم على الخوف من العقاب بل تقوم على تنشئة المواطن، هذا الإنسان الحرّ.

**ثامناً :** أمام حرّية الطالب، الطفل والولد واليافع ، كيف نتصرّف؟

نحن بالإجمال، بوصفنا معلّمين وأساتذة، تلقينا تنشئة على أمرين أساسيين :

**أولاً :** ضرورة أن نعلّم وأن ننهي البرنامج وفق روزنامة محدّدة، وأن تكون لدينا سلطة الكلام من أجل أن نعلّم أنّها رسالتنا.

**ثانياً :** ضرورة أن يكون الصف صامتاً لكي تتمّ عمليّة التعلّم والتعلّم، فالكلام أو الكلمة هي أداة عملنا الأولى وهي أداة تربية الأجيال وهي أداة شبه مركّزة على المعلمة والمعلّم.

Le silence est demandé jusqu'à une date récente raconte un des attributs de l'enseignement magistral Ferdinand Buisson (1841-1932), un pédagogue français qui écrivait en 1887 : « Le silence pendant les leçons est le point de discipline le plus important. Ce que nous nommons le silence est l'absence de bavardage quant au silence absolu, le maître de l'école disciplinaire l'obtient instantanément à un signal convenu toutes les fois qu'il en a besoin. Le silence est ne pas poser des questions à son voisin c'est écouter seulement le maître ».

Comment faire alors si l'enfant a le droit d'être informé et le devoir de s'informer, ce qui autorise la circulation de la parole ?

كان الصمت مطلوبًا حتى وقتٍ قريب. هذا ما يقوله لنا أحد أعلام التعليم الاستاذ فردينان بويسون Ferdinand Buisson (1841-1932)، وهو مربيّ فرنسي كتب في العام 1887 ما يلي : "الصمت خلال الدروس هو الأهم من حيث الانضباط. ما نسمّيه الصمت هو غياب الثرثرة، أمّا الصمت المطلق فالمعلّم في الصفّ المنضبط يحصل عليه فورًا بإشارة متفق عليها كلّما احتاج إليها. الصمت هو عدم طرح الأسئلة والإصغاء إلى المعلّم فقط".

ما العمل إذا إذا كان الطفل يتمتّع بالحقّ في الاستعلام وواجب الاستعلام، الأمر الذي يتيح تداول الكلام. **تاسعًا** : الثقة مفتاح التعلّم وهي أساس نجاح الحياة الصفّية وخصوصًا التعلّم التعاوني. المعلّم الناجح هو الذي يستطيع أن يجعل التلاميذ يتقون بكلمته، وهو الذي يستطيع أن يتجاوب معهم، ويصغي ويتكلّم. المعلّم الناجح بإصغائه يستطيع أن يعلمّ التلاميذ الإصغاء إليه وإلى بعضهم البعض. هذا الإصغاء المتبادل يبني الجماعة المسؤولة حيث أنّ كلّ فرد فيها يشعر بأنّه معترف به، له الدور بأن يتكلّم وبأن يصغي وبأن يقدر ما يقول. ليس من شيء أسوأ من الاستهزاء بكلمة الآخرين حيث أنّ الفرد يشعر بأنّه مردّول ومرفوض فيفقد الثقة بنفسه.

**و عاشرًا وأخيرًا أقول** : إنّ حقّ الطفل والولد واليافع في طلب الاستعلام لا بل في واجب الاستعلام عن حقوقه، وعن النظام وعن الواجبات، وعن حقّه في التعبير عن رأيه وفي مشاركته في حياة المدرسة هو الذي يعطي معنى لوجوده في المدرسة إذ إنّّه يجد نفسه فردًا له دوره وقيّمته ووجوده ومستقبله ونجاحه الخ... المتغيّرات في عالم الاتّصالات اليوم، ونحن في عالم المعلوماتيّة، لا تغيّر شيئًا من المعادلة : بقدر ما نساعد

الولد على التعبير وعلى التفكير الصحيح وعلى اكتشاف القيم الإنسانية والإجتماعية وممارستها على قدر ذلك نكون مساهمين في تربية صحيحة لأجيال المستقبل.